التغير الصوتي(*) للعربية:
المفهوم والعوامل

مختار درقاوي

قسم اللغة والأدب العربي ـ جامعة الشلف ـ الجزائر

(*) تغير أم تطور أم كلاهما؟: يعتقد أحمد محمد قدور أنّ سيطرة المنهج الوصفي على البحوث اللغوية في الغرب، ولاسيما بعد دي سوسير جعل الدارسين يبتعدون عن استخدام مصطلح "التطور" لارتباطه بمعنى التقييم؛ أي: الانتقال من حال إلى حال ترقّيا نحو الأفضل؛ ولذلك غدا مصطلح change الذي يدلّ على التغيّر أكثر استعمالا من مصطلحي "التطور" المعروفين في اللغة الفرنسية وبعض اللغات الأوربية الحديثة، وهما (Evolution) و(Développement) وإذا ما حدث استخدام لأحد هذين المصطلحين فالغالب أنّ المقصود هو التغيّر دون أيّ حكم معياري. وأكّد رمضان عبد التواب هذا الرأي بقوله: " إنّ استخدام اللغويين المحدثين لكلمة "تطور" لا يعني تقييم هذا التطور والحكم عليه بالحسن أو بالقبح، فإنّه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة: "التغيّر". ويحسن أن نذكّر في هذا المقام أنّ ابن مكي الصقلي (ت٥٠١هـ) قد وَسَمَ عشرة أبواب من مؤلّفه "تثقيف اللسان وتلقيح الجنان" بـ "ما غيروه"؛ لذلك ارتأينا وسم هذا البحث بالتغير اللغوي. ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٩م، دمشق ص٣٢٣. وينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٩٧م القاهرة، ص٩. وينظر: ابن مكي الصقلّي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدّم له مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٩٠م، بيروت، ص:٧٧-٨٤-٩٤-١١١-١١٧-١٢٠...

ملخص البحث

من وظائف عالم اللسان أن يدرس ظاهرة التغير الذي يصيب اللغة العربية وأن يسعى جاهدا إلى تقديم إجابات لما تثيره وتطرحه من تساؤلات، كـ: ما مفهوم التغير؟ وما العوامل التي تسهم في حدوثه؟ وما أسباب ذلك؟ من هنا يأتي هذا البحث ليركّز الحديث على تغيّر بعينه، وهو التغيّر الصوتي للعربية، من خلال استحضار العوامل التي تسهم في وجوده، كـ: الإبداء، والإقحام، والتقليص والتماثل، والإدغام، والتخالف، والتخفيف، والقلب، مع محاولة تقديم هذه العناصر من خلال رؤية تعتمد منطق المزاوجة بين الطرح اللساني العربي الذي قدّمه علماؤنا في التراث، والطرح اللساني الذي نعرفه اليوم.

اللغة بوصفها أداة للتواصل بين الشعوب، وصورة صادقة لحياة الأمّة ليست هامدة أو ساكنة، بل هي "تعبير متجدّد عن أفكار متجدّدة"(١)، هي كائن حي يقبل التغيّر والتطوّر، يعتورها التبدّل"، فتتغيّر أوضاعها وهيئاتها من أصغر الأجزاء إلى أوسعها إلماما، وهذا التغيّر راضخ إلى معادلة الزمن، فكلما طال عمر اللغة تكاثرت مظاهره على أصواتها وعلى صيغها ثمّ على بنية تراكيبها"(٢).

وهي كائن حي؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء فتتغيّر وتتطوّر مع الزمن بفعل مستخدميها، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، كما أنّها تتطوّر بتطوّر هذا المجتمع فترقى برقيّه وتنحط بانحطاطه(٣). وكل التغييرات التي تلحق الألسن ـ مهما اختلفت في طبيعتها أو سرعتها ومجالها ـ تسير وفقا لقاعدة أساسية واحدة، هي أنّها دائما وأبدا تقع على مرحلتين(٤):

– المرحلة الأولى: مرحلة التغيّر نفسه أو الابتداع والتجديد innovation ويظهر هذا الابتداع في الكلام الفعلي speech، وهو لذلك عمل فردي كالكلام نفسه، ولكن هذا لا يعني أنّه مقصور على فرد واحد، فقد يتصادف أن يتفق أفراد لا حصر لهم على الابتداع في وقت واحد، بل قد يحس عدد آخر من الجماعة اللغوية المعيّنة بأنّ هذا الابتداع كان حاضرا بأذهانهم وكان في استطاعتهم أن يبدؤوا وربما فعلوا. هذا القبول الاختياري وهذا الاتفاق الانبعاثي عاملان أساسان

(1) André Martinet, Eléments de linguistique général, librairie Armand colin paris .1970 p. 173.

(٢) عبد السلام مسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م، بيروت ص٥٣.

(٣) ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص٩.

(٤) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، ط١٢، ١٩٩٧م، القاهرة، ص ١٧٩.

في المرحلة الثانية.

– المرحلة الثانية: وهي مرحلة انتشار التغيّر dissemination، فإذا ما سُمع الشيء المبتدع في عبارة، أو في عبارات ـ كما هو الأغلب الأعم ـ علق بالذهن، وترتب على ذلك استعمال الآخرين له، ونفذ بالتدريج إلى نظام اللغة، وفي حالة الكلمات ومعانيها الجديدة يأتي الاعتراف متأخرا بعض الوقت، ويكون ذلك بطريق تسجيلها بالمعجم. وهكذا نلحظ أنّ المرحلة الأولى فردية individual والثانية اجتماعية social تعوّل في أساسها على قوّة التقليد.

– مستويات التغيّر اللغوي:

ليست مستويات اللغة على مدرج ورتبة واحدة من حيث الرضوخُ للتغيّر وقبوله، فهناك اختلاف بين أنظمة اللغة سواء أكان صوتيا أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا، "فالنظام الصوتي يستقرّ منذ الطفولة ويستمر طول الحياة، فالإنسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته، اللهم إلا أن يحدث له عارض ناتج من التعليم، وذلك في حالة أن يتلقن نطقا أجنبيا يحلّ محلّ النطق القومي.

والنظام الصرفي ثابت أيضا، نعم إنّ استقراره يتطلّب وقتا أطول ولكنّه بعد أن يستقرّ لا يعتريه تغيّر يذكر؛ ذلك بأنّ الصرف لا يتغيّر في أثناء جيل واحد بل هو كالصوتيات إنّما يتغيّر في الانتقال من جيل إلى جيل. والنظام الصوتي والنظام النحوي إذا ما اكتسبا مرة بقيا طول العمر، ويدينان باستقرارهما إلى استقرار ذهنية المتكلّم.

أمّا المفردات فعلى العكس من ذلك لا تستقر على حال؛ لأنّها تتبع الظروف، فكل متكلّم يكوّن مفرداته من أوّل حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به. فالإنسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها أيضا ويغيّر الكلمات

في حركة دائمة من الدخول والخروج. ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائما، فالذهن يروّض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة"(١)، والسبب في نظر فندرس أنّ الظروف الاجتماعية ونظام الحياة عموما يشجّع على تغيّر المفردات، فالعلاقات الاجتماعية والصناعات وغير ذلك تعمل على تغيّر المفردات وتقضي على الكلمات القديمة أو تحور معناها وتطلب توليد كلمات جديدة(٢).

وهناك من جهة أخرى وبدافع الزمن ميل طبيعي لمفردات اللغة نحو النمو والتكاثر نتيجة لنمو النشاط الإنساني بمرور الزمن وتكاثره، فهناك أشياء كثيرة تجدّ وأحوال تنشأ، و أفعال تستحدث، ومعان تتولّد وتتغير، وكلها تتطلب لأنفسها ألفاظا وأسماء لكي تظهر. وهناك إلى جانب ذلك ـ وإن كان بدرجة أقل ـ احتمال هجر الكلمات كما يحدث حينما يختفي من الوجود شيء ما، أو معنى معيّن(٣). فهجر الألسنة للألفاظ والمعاني أمر وارد، تختفي من اللغة المنطوقة وتبقى فقط في المعجمات، وقد أشار ابن فارس إلى هذا بقوله: "وقد كان لذلك كله ناس يعرفونه. وكذلك يعلمون معنى ما نستغربه اليوم نحن من قولنا: "عُبْسُور" في الناقة، و"عَيْسَجور" و"امرأة ضِنانِي" و"فرس أشَقُّ أمقُّ خِبَقُّ" ذهب هذا كلُّه بذهاب أهله ولم يبق عندنا إلا الرسم الذي نراه"(٤).

(١) فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، ص٢٤٦–٢٤٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٤٧.

(٣) ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٩، ٢٠١٠م، القاهرة، ص١٥٤.

(٤) ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة العربية، تح: عمر فاروق الطبّاع، دار مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٣م، بيروت، ص٧١.

*** التغيّر الصوتي:**

التغيّر أو التطوّر اللغوي في سياق البحث المعرفي يراد به انتقال ظاهرة لغوية من حالة إلى حالة أخرى، أو حلول ظاهرة لغوية محل ظاهرة لغوية أخرى في مرحلة من مراحل تاريخ هذه اللغة(١). والتغير الذي يصيب اللغة يلحق جميع أنظمتها، فيصيب النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والنظام الدلالي، مع تفاوت بين الأنظمة في درجة التغيّر، فالنظام الدلالي أكثر قبولا للتغيّر من باقي الأنظمة. والذي يعنينا في هذا السياق البحثي التغير الصوتي وهو تبديل وتعديل في البنية التأليفية للغة بحذف عنصر أو بزيادته(٢). إنّه تغيير يقع في مادة الصوت (الوحدة الصوتية الأساسية) أو صفة الصوت أو حركته.

– عوامل التغيّر الصوتي:

من العوامل التي تسهم في وجود هذا النوع نذكر: الإبداء ـ ولا نقصد الإبدال ـ، والإقحام، والتقليص، والتماثل، والتخالف، والإدغام، والتخفيف، والقلب، وغير ذلك.

– التخفيف:

الخفة أو التخفيف و"العدول عن المستثقل"(٣) باب في العربية عتيق ومقصد بديع، تجنح إليه العرب في كلامها وتعليلها، وينعت في سياق معرفي من السياقات المتداولة في البيئة العربية بأنّه مظهر من مظاهر التفسير اللغوي الذي ينبني على الذوق الاستعمالي للغة، وقد أشاد تمام حسان بقيمته، فقرّر أنّ "من مظاهر الطاقة التفسيرية في النحو العربي ظاهرة التعليل لأحكام النحو وأقيسته،

(١) محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم– جامعة القاهرة، د ت ط، ص١١٥.

(٢) مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانية إنجليزي–فرنسي– عربي، سلسلة المعاجم الموحدة رقم: ٠١، طبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٢م، ص١١٢.

(٣) ابن جني، الخصائص تح: محمد علي النجار، ط١٩٥٥–١٩٥٦م، بيروت، ١/ ١٦١–١٦٢.

ولعلّ "طلب الخفة" أن يكون أوسع العلل العربية مجال تطبيق، وحسبه أن يجد اعترافا مؤكدا من علم اللغة الحديث، إذ يجد لنفسه مكانا مهمّا بين مبادئه تحت عنوان: Economy effort أي: الاقتصاد في المجهود"(١).

وقد أثبت علماء اللغة الغربيون والأمريكيون أن ثمّة قوانين عامة تؤكّد على وجود هذه الظاهرة في كل اللغات، ويبقى التفاوت من لغة إلى أخرى هو العلامة الفارقة، وفي معرض التوضيح والبيان يفسّر اللغوي الأمريكي "هويتني" التغيّر الذي يحدث في اللغات أنّه نزوع نحو السهولة وتوفير الجهد، وأكّد أن كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير للمجهود الذي يبذل في النطق وأنّ هناك استعدادا للاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالتها(٢)، وعزا دي سوسير "التغيرات الصوتية إلى قانون "الجهد الأقل" الذي يستبدل فيه نطقان بنطق، أو نطق صعب بآخر سهل"(٣)، ومال إبراهيم أنيس إلى هذا الرأي، إذ قال: "من قوانين التطور الصوتي أنّ الإنسان في نطقه يسلك أيسر السبل"(٤).

وإضافة إلى تلك القيمة التفسيرية التي حظي بها التخفيف في كتب النحو القديمة وفي أعمال الغربيين المحدثين فإنّ له قيمة أخرى تصحيحية ـ وهي قيمة أخرى من قيم التطور الصوتي ـ في كتب التصويب اللغوي، فقد أشاد أحمد مختار عمر ـ في غير ما موضع من معجمه ـ بدوره وفاعليته في قبول عدد من الاستعمالات، جاء عنه: "يمكن تصحيح الكلمة المرفوضة على أساس

(١) تمام حسان، اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول القاهرية، ج١، ع٣، م٤، عام١٩٨٤م، ص١٣٧.

(٢) عبد الرحمن أيوب، التطور اللغوي، دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٦٤م، ص٢٤-٢٥.

(٣) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، تر:أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ط١٩٨٥م، ص٢٥٩.

(٤) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٢، سنة١٩٥٨م، ص٧٦.

التخفيف"[١] وفي موضع آخر: "يمكن التجاوز في ضبطها من أجل التخفيف"[٢]، ولعل الأمر يتضح من خلال النماذج الآتية:

– كلمة "أُحْجِيَة –من دون تشديد الياء–" التي تعني اللغز الذي يتبارى الناس في حلّه مرفوضة عند بعضهم؛ لأنّها لم ترد بهذا الضبط في المعجمات، الفصيح أن يقال: "أُحْجِيَّة –بتشديد الياء، يقول صاحب التاج: "الأُحجِيّة والأُحْجُوّة بضمها مع تشديد الياء والواو"[٣]، وصحّح أحمد مختار وفريق عمله الاستعمال المرفوض على أساس التخفيف، وله نظائر في لغة العرب، كنطق كلمة "أمنيّة" بالتخفيف، وبها قرأ أبو جعفر في كل القرآن[٤]، وأغنية التي ذكرتها المعاجم بالتخفيف. وقد اتخذ مجمع اللغة المصري قرارا باطراد ذلك[٥]. ولابن جني في خصائصه موقف يدعم هذا التوجيه، ذكر أنّ "العرب ضايقوا أنفسهم وخففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاسا، وأخفوها، فلم يمكنوها في أماكن كثيرة، ولم يشبعوها ألا ترى إلى قراءة "أبي عمرو"[٦]: "مالك لا تأمنّا على يوسف" مختلسا لا محققا"[٧].

– يشبّه بعضهم فيقول: "أحاطوا به كالأَخْطَبوط" بفتح الألف، يُخطّئها بعض اللغويين؛ لأنّ الكلمة لم ترد بهذا الضبط في المعجمات، والصواب: كالأُخطبوط

(١) أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، القاهرة، ص١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة: حجو.

(٤) أحمد مختار عمر وآخرون، معجم القراءات القرآنية، عالم الكتب، ط١٩٩٧م، ٣/ ٣١١.

(٥) أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ص١٦–١٧.

(٦) ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٧م، بيروت، ٣/ ٢٨٤.

(٧) ابن جني، الخصائص، ١/ ٧٢.

بضمّ الألف، ولمّا كانت الكلمة من الكلمات المعربة تجاوز أحمد مختار في ضبطها وصححها باعتماد التخفيف(١).

– "خُبْزٌ حافٌ"، مرفوض الاستعمال عند الأكثرين؛ لتخفيف الفاء، والصواب: خُبْزٌ حافٌّ، ومع ذلك يمكن قبول الاستعمال المرفوض على أنّه من باب التخفيف للتخلص من التقاء الساكنين وهو كثير في لغة العرب(٢).

– "زار الرّيس المصنع"، مرفوض عند بعضهم، والصواب: زار الرئيس المصنع، وبالرجوع إلى المعجمات نجد جواز استخدام كلمة "ريّس" مخففة بالياء المشددة بمعنى "الرئيس" كما ورد في التاج، ومنه قول الكُمَيت:

تُهْدَى الرَّعِيَّةُ ما استقامَ الرَّيِسُ(٣)

وإذا تمّ تقرير التخفيف وسيلة من وسائل التطور وقاعدة تصحيحية يستند إليها–فإنّه ينبغي أن يعلم أنّ ظاهرة التخفيف ترتبط بقاعدة مهمة في تراثنا وهي "أمن اللبس"، فلا يصح أن يلجأ ناطق إلى التخفيف من ثقل ما، في الوقت الذي لا يؤمن اللبس فيه، ولو حدث ذلك وكانت مظاهر التخفيف سببا في إيجاد اللبس في بناء المفردات أو الجمل؛ لكان التخفيف اعتباطا لا تحكمه قاعدة، وأدى إلى التناقض(٤). ويدعم شرط "عدم اللبس" في تراثنا عدد من اللغويين، ذكر المبرّد في المقتضب: "هذا باب ما يحذف استخفافا ؛لأنّ اللبس فيه مأمون"(٥)، وأردف ابن يعيش مؤكدا: "إذا أدى التخفيف إلى فساد عُدل عنه إلى الأصل، وكان احتمال

(١) أحمد مختار، معجم الصواب، ١/ ٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ١/ ٣٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ١/ ٤١٥.

(٤) أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، سنة ١٩٩٦م، القاهرة، ٩٢.

(٥) المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط١٣٥٨هـ، القاهرة، ١/ ٢٤٨.

التثقيل أسهل عندهم"(١)، فالقاعدة التي تحكمنا في هذا الموقف أنّ: "الأحكام الموضوعة للتخفيف إذا أدّت إلى نقض أغراض مقصودة ـ اختلاف الدلالة ـ تركت"(٢).

– ظاهرة القلب:

تتميز العربية بوجود خصائص ذاتية في طبيعة بنيتها التكوينية، جرى الاصطلاح على تسميتها بـ "السنن اللغوي العربي"، "ومن سنن العرب القلب، ويكون في الكلمة وفي القصة"(٣)، فأمّا الكلمة فقولهم: جذب وجبذ(*)، بتغيير في مواضع الحروف، وقد أورد السيوطي في المزهر بعض العبارات التي فيها هذا النوع من القلب نحو: "لعمري" و"رعملي"، و"سحاب مكرهف"؛ وأصلها "سحاب مكفهر، ونجد أيضا "العصافير" تقلب عراصيف(٤). أمّا الذي في غير الكلمات فقد يكون الداعي إليه لفظيا أو معنويا.

– أمّا اللفظي بأن يتوقف صحة اللفظ عليه، فيكون المعنى تابعا للفظ، كما إذا وقع ما هو في موقع المبتدأ نكرة، وما هو موقع الخبر معرفة، كقول الشاعر:

قفي قبل التفرّق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا(٥)

إنّما أراد الشاعر: لا يكن موقف الوداع موقفا منك(٦).

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، دار الاستقامة، القاهرة، (د ت ط)، ١٠/ ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٠/ ١٢٢. وينظر أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف، ص٩٢–٩٩.

(٣) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص٢٠٨.

(*) ننبه إلى أنّ سيبويه على لسان الخليل قال: "وأما جذبت وجبذت ونحوه فليس فيه قلب، وكل واحد منهما على حِدَتِه؛ لأنّ ذلك يطّرد فيهما في كل معنى، ويتصرّف الفعل فيه". الكتاب، ٤/ ٣٨١.

(٤) السيوطي، المزهر في علوم اللغة، دار الفكر للطباعة، ١/ ٤٧.

(٥) القطامي، الديوان، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، ط١٩٦٠، بيروت ص٣١.

(٦) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحـ: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، سنة ١٩٩٦م، لبنان. ٢/ ١٣٣٦.

– أمّا المعنوي فيكون بتوقف صحة المعنى عليه، نحو: "كأنّ الصفا أوراكُها"، أراد: "كأنّ أوراكها الصفا"، ومنه أيضا: "حسرت كفّي عن السِّربال" إنّما "حسر السِّربال عن كفّه"(١). والذي يفهم:

– أن القلب نوع من العدول والإخراج على غير مقتضى الظاهر، يؤتى به رغبة في تخفيف اللفظ عن طريق تقديم بعض الأصوات وتأخير أخرى، أو بإبدال حرف مكان حرف آخر، أو بتغيير في مواضع الكلم إذا كان معنويا، فهو بفطرته يميل إلى السهولة في الكلام. ويعرف عن القلب أنّه أقلّ من الإبدال عددا، وأندر وقوعا في اللغة(٢).

– كما يفهم أنّه نتيجة من نتائج التطور الصوتي؛ أي: "إن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أنّ إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنّه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل عنه، ودراسة الأصوات كفيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها، أي: إنّ القرب في الصفة أو المخرج شرط أساس في كل تطور صوتي"(٣).

– القلب في بعض الأحيان يؤدي إلى تتابع صوتي أكثر اتساقا مع النماذج المسموح بها أو الشائعة في اللغة، وحينئذ تكون النماذج التوزيعية أو التركيب الفونولوجي للغة هو السبب في حدوث القلب، وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي كما في طمس التي قلبت إلى طسم حتى لا يفصل بين الطاء والسين (وهما متقاربا المخرج) بالميم. كما قد يكون من اختلاف

(١) ابن فارس، الصاحبي، ص٢٠٨.

(٢) ينظر: جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، دار الجيل، ط١، سنة١٩٨٢م، بيروت، ص٣٤.

(٣) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١٠ ٢٠١٠م، القاهرة، ص٦٢–٦٣.

اللهجة مثل الطّبّيخ، لغة في البطّيخ، وقد يكون أخيرا من أخطاء العوام في الكلمات الأجنبية أو الفصيحة، ومن أمثلة ذلك قولهم: أنارب في أرانب، ومعالق في ملاعق، وأهبل في أبله، وهلتر في هتلر(١) وحاشنة في شاحنة.

وأمّا عن شأن القلب فهو عند السكاكي الذي استقرت علوم البلاغة على يديه يورث الكلام ملاحة، ويصل به إلى كمال البلاغة(٢)؛ لذلك نلفيه يخصص له في علم المعاني مساحة يبسط فيها قيمته البلاغية، وهذا الذي انتهى إليه السكاكي لم يكن موقف جماعة من المتقدمين.

فالذي ينعم النظر مليا في كتاب سيبويه يجده يرُد القلب إذا ورد في الكلام ويصفه بالرداءة والبعد عن الجودة، يقول: "وأمّا قوله: أدخل فوه الحجر، فهذا جرى على سعة الكلام، والجيد أدخل فاه الحجر، كما قال: أدخلت في رأسي القلنسوة، والجيد أدخلت في القلنسوة رأسي... قال الشاعر:

تَرَى الثَّورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِ رأسَهُ وسائرُه بادٍ إلى الشمس أَجْمَعُ(٣)

فقد كان الوجه فيه أن يقول: مدخل رأسه الظل؛ لأنّ الرأس هو الداخل في الظل، والظل هو موضع الدخول، فهذا النوع من التعبير قد جرى على الاتساع والقلب(٤).

وللآمدي رأي خالف فيه مذهب المجيزين، فهو يرفض القلب نهائيا(٥) وكذلك ابن قتيبة منع وجوده في القرآن والشعر؛ لأنّه يجري على الغلط وهو مفسد للمعنى

(١) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ط١٩٩٧م، القاهرة، ٣٩٠-٣٩١.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم، ط مصطفى الحلبي، ١/ ١٠١.

(٣) سيبويه، الكتاب، تحـ: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١/ ٩٢ ب، ١/ ١٨١.

(٤) سيبويه، الكتاب، تحـ: محمد عبد السلام هارون، ١/ ٩٢ ب، ١/ ١٨١هـ.

(٥) الوساطة، ١/ ٩٢. ينظر أيضا عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر، ط١٩٩٨م، القاهرة، ص١٠٦.

وصارف له عن وجهه، وذكر أن ما قد يرد منه في القرآن فهو مؤوّل[١]. كما اعتبر بعض النقاد –كقدامة والمرزباني – القلب "من عيوب ائتلاف المعنى والوزن معا في شعر العرب"[٢].

وعند تأمّل المدوّنات الأخرى التي عنيت بهذا اللون الكلامي وتصفحها نلمح موقفا مغايرا، يشيد فيه أصحابه ـ تلميحا أو تصريحا ـ إلى قيمته، فأبو عبيدة في مؤلَّفه "مجاز القرآن" أشار إلى القلب دون انتقاص، إذ رأى "أنّ العرب تريد الشيء فتحوّله إلى شيء من سببه، يقولون: اعْرضْ الحوض على الناقة، وإنّما تُعرض الناقة على الحوض، ويقولون: أدخلت القلنسوة في رأسي، وإنّما أدخلت رأسي في القلنسوة، وفي القرآن : ﴿ **ما إنّ مفاتِحَه لتنوء بالعصبة** ﴾؛ ما إنّ العصبة لتنوءُ بالمفاتح أي تثقلها"[٣].

ويظهر من كلام أبي عبيدة التسليم، فهو يقف موقف غير المنكر، بل إنّ في كتاب العكبري "المسائل" ما يثبت أنّ أبا عبيدة يؤمن بهذا المبدإ، ذكر أبو البقاء في توجيه قوله تعالى: ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[٤] أنّ "الكلام مقلوب والمراد أنّ العجل خُلِق من الإنسان، قالهُ أبو عبيدة"[٥]، ومثّل بقول الأعشى:

لحقوقة أن تستجيبي لصوتِهِ وأن تعلمي أنّ المُعانَ مُوَفَّقُ[٦]

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، علّق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢م، بيروت، ص١٩٨–١٩٩–٢٠٠.

(٢) قدامة، نقد الشعر، ط المليجية، ١٩٣٤م، ص١٣٠. المرزباني، الموشح، ط نهضة مصر ١٩٦٥م، ص١٢٨. ينظر أيضا عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص١٠٧.

(٣) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ١ / ٦٣–٦٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٥) أبو البقاء العكبري، المسائل العُكبريات في النحو واللغة والقراءات، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨م، دمشق، ص٢٧.

(٦) الأعشى، الديوان، د.محمد حسين، مكتبة الآداب، ط١٩٥٠م، القاهرة، ص٢٢٣.

أراد أنّ المُوَفّق معانٌ، فقلبَ، وقال خداش بن زهير:

وتَرْكبُ خيلا لا هوادةَ بينها وتشْقَى الرّماحُ بالضياطِرَةِ الحُمْرِ(١)

والمراد أنّ الضياطرة–الرجال الضخام– تشقى بالرماح، لكنّه قلب(٢).

وأجاز الفراء و أبو عبيدة القلب المعنوي في القرآن وفي الشعر، بيد أنّ موقفهما عرف اضطرابا "بين صحته على القياس وبين قبوله على الضرورة"(٣). أمّا ابن جني بعد استقرائه لأراء المتقدمين فإنه يسلك مسلك السكاكي، فيجد فيه لونا من ألوان البلاغة وهو يأتي في الكلام ليس للاتساع فحسب، بل لرفع الشك، ويتبيّن ذلك من تعقيب ابن جني على قول ابن مجاهد في قراءة ابن عامر: ﴿ **وحُمِّلَتِ الأرضُ** ﴾(٤) قال ابن مجاهد: وما أدري ما هذا؟.

فاسترفد أبو الفتح موضحا مبيّنا ما أشكل بقوله: "هذا الذي تبشّع على ابن مجاهد حتى أنكره من هذه القراءة صحيح واضح، وذلك أنّه أسند الفعل إلى المفعول الثاني حتى كأنّه في الأصل: وحملنا قدرتَنا، أو ملكًا من ملائكتنا، أو نحو ذلك– الأرض، ثمّ أسند الفعل إلى المفعول الثاني، فبُني له، فقيل: فحُمِّلَت الأرض...وهذا كقولك: ألبَست زيدا الجبة. يجوز مع استيفاء المفعول الأول أن يبنى الفعل للمفعول الثاني، فتقول: أُلْبِسَت الجبةُ زيدا، على طريق القلب للاتساع وارتفاع الشك، فإذا جاز على هذا أن تقول: حُمّلت الأرضُ الملكَ، فتقيم الأرض مقام الفاعل مع ذكر المفعول الأوّل، فما ظنّك بجواز ذلك وحسنه، بل بوجوبه إذا حذف المفعول الأوّل؟"(٥).

(١) خداش بن زهير العامري، شعره، صنعة يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦م، ص٧٩. والبيت جاء في المتن بلفظ وفي الهامش بلفظ آخر.

(٢) أبو البقاء العكبري، المسائل العُكبريات، ص٢٧. والبيت في اللسان، مادة "ضطر".

(٣) ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص١٥٠.

(٤) سورة الحاقة، الآية:١٤.

(٥) ابن جني، المحتسب، تح: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط عام ١٩٩٤م، القاهرة، ٢/ ٣٢٨–٣٢٩.

ومن أهل اللغة من يذهب ويسلك طريقا وسطا فيتّخذ منزلة بين منزلتين في قبول القلب، كالخطيب القزويني، الذي ذهب إلى أنّ القلب يُقبل إذا تضمّن اعتبارا لطيفا ومعنى شريفا، وإلا فهو مردود(١). وتماشيا مع طرح ابن فارس الذي عدّ القلب من سنن اللغة(٢) ـ وأبي عبيدة والسكّاكي، وابن جني، وغيرهم من المجيزين لظاهرة القلب في العربية صحّح عدد من المحدثين كأحمد مختار وفريق عمله الذين يتجاوز عددهم عشرين باحثا لغويا ـ في معجم الصواب اللغوي عددا من الاستعمالات المولّدة والمخطّأة من قبل عدد من أهل اللغة بحملها على القلب، نذكر من ذلك:

– عبارة "استقلّوا الطائرة" مرفوضة عند الأكثرين؛ لأنّها لم ترد بهذا المعنى في المعجمات، الفصيح أن يقال: "أقلّتهم الطائرة أو استقلتهم" وقد وافق أحمد مختار عمر وفريق عمله ومجمع اللغة المصري على إجازة التعبير المرفوض بحمله على القلب(٣).

– عبارة "الموسوعة الطبية" مرفوضة عند بعضهم؛ لأنّها لم ترد في المعجمات بهذا المعنى، وعدّها بعض اللغويين من الفصيح. المشهور في مادة "وسع" أن يقال: وسع الكتاب مسائل كثيرة، فالكتاب هو الواسع، والموسوع هو المحتوى أو المضمون.

ويمكن تصويب إطلاق الموسوعة على الكتاب نفسه عن طريق المجاز المرسل لعلاقة المحلية، أو يكون من باب القلب المعنوي؛ على أنّه قد جاء في المصباح: وَسَع الله عليه رزقه، فالرزق موسوع، ويمكن القياس عليه فيقال: وسع المؤلف الكتاب،

(١) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٦٥.

(٢) ابن فارس، الصاحبي، ص٢٠٨.

(٣) أحمد مختار عمر وفريق عمله، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، القاهرة، ص١١٥.

فالكتاب موسوع، ويعضده ما جاء في اللسان: هذا الوعاء يسعه عشرون كيلا ؛أي يسع فيه عشرون كيلا(١)؛ ومن ثمَّ تكون كلمة موسوعة في دلالتها المحدثة على الكتاب الذي حوى المعارف موسوعة من الفصيح، وهو ما أقرّه مجمع اللغة المصري(٢).

– "أدخلت الخاتم في أصبعي"، مرفوضة عند بعضهم ؛لأنّ هذا التعبير لم يرد في المعجمات، الفصيح أن يقال: أدخلت أصبعي في الخاتم، وعدّ بعض اللغويين العبارة المرفوضة من الفصيح، إمّا على التجوّز في الاستعمال أو على القلب المعنوي(٣).

– القلب المكاني في اللسانيات الغربية:

لا تعدّ ظاهرة القلب المكاني حكرا على اللسان العربي، بل هي من القضايا التي عرفها الغربيون وحاولوا جهدهم تفسيرها، جاء في معجم Dubois أنّ القلب المكاني هو تقليب لبعض الصوتيات داخل سلسلة كلامية(٤)، وجاء في معجم Crystal أنّ هذا المصطلح يستعمل في اللسانيات الحديثة للإشارة إلى تغيير في تتالي عناصر معيّنة داخل جملة ما(٥).

ويتميّز بأنّه لا يؤثّر في دلالة الكلمة، وأنّه في الغالب يرتبط بالمتكلّم، إذ يصدر عن عدم اهتمامه أثناء النطق فيقلب مكان صوتين، فيقدّم أحدهما على الآخر دون أن يشعر بذلك؛ فمن سماته أنّه اعتباطي. وأمّا عن التفسير العلمي الذي يقدّمه اللسانيون الغربيون لهذه الظاهرة فيمكن ـ وبشكل مقتضب ـ عزو وقوع القلب في

(١) ابن منظور، اللسان، مادة: "وسع".

(٢) المصدر نفسه، ص٧٤١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧. وينظر الفيومي، المصباح، مادة "عرض".

(4) Dubois, Dictionnaire de Linguistique et des sciences du langage, Paris, Larousse, 1973, p302.

(5) Crystal .D, A . Dictionary of Linguistics and phonetics, Oxford, Blackwell, 1985, p194.

نظرهم إلى نظرية السهولة والتيسير في النطق؛ لأنّ المتلفّظ غالبا ما يميل إلى الصوت الأرق والأسهل، لتخفيف عملية التلفّظ، وبذل أدنى جهد ممكن، وما يسمّى بمبدأ الاقتصاد. وفي الحقيقة جل اللغات الطبيعية تتعرض لهذه العملية عبر تطورها التاريخي، على سبيل المثال:

– نجد في اللغة الفرنسية كلمة "Fromage" التي انقلبت عن الأصل اللاتيني "Fromaticum".

– كما نجد في اللغة الإنجليزية القديمة كلمة "Brid" قد أصبحت "Bird". لأصوات المتجاورة تتبادل أماكنها في السلسلة الكلامية، وهذا عينه القلب Metathesis، ويسمى أيضا Interversion، ومنه نطق بعضهم كلمة: Enmity: Emniti، ويكثر هذا في لغة الأطفال(١).

– وفي اللغة العربية أمثلة كثيرة، بل هناك تصانيف كثيرة، فقد عُرف مصطلح الإبدال بما صنف علماء اللغة الأقدمون،كالأصمعي وابن السكّيت وأبي الطيّب من رسائل في هذا الموضوع، واتخاذهم "الإبدال" اسما على هذه الحقيقة اللغوية. غير أنّ آخرين التزموا بمصطلحات أخرى للدلالة على ما أسماه غيرهم بـ "الإبدال" فقد شاع البدل والمبدول والقلب والمقلوب والمحول والمضارعة والتعاقب والمعاقبة والنظائر والاشتقاق الكبير والأكبر(٢). وأبو الفتح ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري سمّى كتابه في هذا الموضوع بـ "تعاقب العربية"(٣)، كما أفرد في الخصائص بابا وسمه بـ: "باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه"(٤).

(١) حسن حمائز، التنظير المعجمي والتنمية المعجمية في اللسانيات المعاصرة مفاهيم ونماذج تمثيلية، عالم الكتب الحديث، ط١، سنة ٢٠١٢م، إربد، الأردن، ص١١٦–١١٧.

(٢) إبراهيم السامرائي، التطوّر اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط١٩٩٧م، بيروت. ص١١١.

(٣) أبو الطيب اللغوي، كتاب الإبدال، تح: عز الدين تنوخي، ص٧.

(٤) ابن جني، الخصائص، ٢ / ٨٢.

ويجدر بنا الإشارة في سياق الحديث عن ظاهرة القلب عند العرب إلى أنّ نظام الكتابة العربية قد أهمل العلل القصيرة وعدّها لواحق للصحاح، وهو بذلك يوهم أن لا فرق بين القلب المكاني في مثل "جبذ" و"جذب" والقلب المكاني في مثل "طأمن" وطمأن"، ولكنه في الواقع مختلف، ففي المثال الأوّل حدث القلب المكاني بين صوتين غير متجاورين، بينما حدث بين صوتيين متجاورين في المثال الثاني(١) وهذا الذي أشار إليه داود عبده إنّما هو تطور صوتي فونولوجي.

– الإبداء:

من أنواع التغيّر الصوتي: الإبداء Prothèse - Prothesis يعرّف بأنه إضافة صوت في مطلع الكلمة(٢)، ومع عدم وجوده في الإنجليزية فإنّه واقع في لغات أخرى، فهو شائع في تغيّر نطق بعض الصيغ من اللاتينية إلى الإسبانية كما في هاذين المثالين:

مدرسة Escuela (School) <------ Schola

روح Espiritu (Spirit) <------ piritus

وهو شائع كذلك في اللغة العربية وفي عدد من اللهجات الحديثة، أمّا في العربية فقد خصّ له ابن مكي الصقلي في "تثقيف اللسان" بابين وَسَمَهُما بـ" باب ما غيّروه من الأفعال بالزيادة" و "باب ما غيّروه من الأسماء بالزيادة"(٣)، ومن الأمثلة التي ضربها في الباب الأوّل(٤):

– يقولون: أنحسه الله، بدلا من: نحسه الله، بغير ألف.

(١) داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح، ١٩٧٩م، الكويت، ص٩٢.

(٢) جورج يول، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، ص٢٢٥.

(٣) ابن مكي الصقلّي، تثقيف اللسان وتَلقيح الجِنان، قدّم له مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، بيروت، ص٧٧–١١٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٧–١١٨.

– ويقولون: أفحلتُ الفرس وغيره. بدلا من: فحلت، قال ابن السكيت: أنشد الأصمعي:

إنـا إذا قَـلَّت طـخـاريـر الـقَـزَعْ
وصَـدرَ الـشـاربُ مـنـهـا عـن جُـرَعْ
نـفـحَـلُـهـا الـبِيضَ الـقـلـيلاتِ الطَبَعْ

– ويقولون: أغاظني فعلك، وأرعبني كذا، وأرشيت السلطان، وأسدلت الثوب بدلا من: غاظني فعلك، ورعبني كذا، ورشوت وسدلت.

– وكذلك يقولون: أنعشه الله، بدلا من: نعشه الله؛ أي: رفعه، قال الشاعر:

كم فقيرٍ نعشتَه بعـد عَدْمٍ ويتيـمٍ جبرتَـه بعـد يُتْـمِ
كُلَّمَا عضَّت الحوادثُ نادى رَضيَ اللهُ عن سعيد بنِ سَلْمِ

ومن الباب الثاني ساق الأمثلة الآتية[1]:

– يقولون: تكلّم من أنْياط قلبه. بدلا من: نِياط قلبه، والنياط مُعَلَّق القلب من الوتين، وإنّما سمي نياطا لتعلّقه بالقلب، من قولك: نُطت الشيء: إذا عَلَّقته به، ويقال له: النائط أيضا، قال العجاج:

قَضْبَ الطبيبِ نائطَ المَصفُورِ

– ويقولون: رجل أجعد وأسبط. بدلا من: جَعْد وسَبْط.

وأمّا في اللهجات العربية الحديثة فنجد أنّ المتكلم المصري يعبّر عن الفعل المستقبل بـ: حنكتب، وحندخل، وحنخرج، وحنمشي، والمتكلّم المغربي بـ كنكتب وكنمشي، وكنخرج، على حين نقول في الفصحى: سنكتب أو سوف نكتب... إلخ. لقد حلّت الحاء والكاف المفتوحتان، في العامية محل "السين" المفتوحة أو "سوف" للتعبير عن الاستقبال في الفعل المضارع، وهذا يطلق عليه إبداء.

(١) ينظر: المصدر السابق، ص٨١–٨٢.

– الإقحام:

من التغيرات ما يطرأ بزيادة صوت في حشو الكلمة، واصطلح على تسميته بالإقحام Epenthèse Epenthesis –، فإذا نطق المتكلم أحيانا كلمة Film كما لو كانت Filum فإنه بذلك قد جاء بمثال على الإقحام في الإنجليزية الحديثة(١). وهذه الظاهرة موجودة بكثرة في اللغة العربية، وكتب التصحيح اللغوي في التراث وفي الوقت الحاضر تحفل بعدد كبير من الأمثلة التي توضحها، ونذكر منها:

– يقولون: عِينبٌ بزيادة ياء بعد العين، بدلا من: عنبٌ بغير ياء(٢).

– يقولون: حَصاية، وسفاية، ونَواية، ودَباية، وشذاية. بدلا من: حَصاة وسفاة، ونَواة، ودَباة، وشَذاة بحذف الياء(٣).

– ويقولون: لضرب من الشجر عرعار، ولضرب من النبت: بِرْواق، ويقولون: طيحال ولوبان. والصواب: عرعر، وبَرْوق، وطِحال، ولُبان(٤).

– ويقولون للحبل الذي تربط به الدّابة: طِوال. والصواب: طِوَل(٥).

ومن أمثلة الإقحام في العربية المعاصرة:

– يقولون: العزوبيّة بزيادة ياء مشددة في آخرها، بدلا من: العُزْبة، وزان غُرْفة، والعُزوبة بضم العين والزاي. وذلك ما نصّ عليه صاحب المصباح المنير، والقاموس المحيط، ومختار الصّحاح، ولسان العرب(٦).

(١) جورج يول، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٠م، الإسكندرية، مصر. ص٢٢٥.

(٢) ينظر: محمد بن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دراسة وتحقيق: مأمون بن يحيى الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م، بيروت، ص١٨٢.

(٣) ينظر: ابن مكي الصقلّي، تثقيف اللسان وتَلقيح الجِنان، ص٧٩–٨٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٢.

(٦) ينظر: محمود شاكر القطان، من عثرات اللسان والقلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢٠٠٧م، القاهرة، ٢/ ١١٧.

– ويقولون: "إمكانية" بزيادة ياء النسبة المشددة والتاء، والصواب: "إمكان" لأنّ الفعل الصحيح العين "أمكن" الذي على وزن أفعل مصدره يكون "إمكانا"، كأكرم إكراما، وأحسن إحسانا(١).

– المماثلة Assimilation :

مصطلح المماثلة أو التماثل من مصطلحات علم الصوت الحديث، وهو ترجمة للفظة الأجنبية Assimilation، ويكاد هذا المصطلح يضمّ بين جنبيه كل أنواع التأثيرات بين الأصوات كالإدغام الأصغر، والإدغام الأكبر، والإمالة، والإبدال والإعلال، والإجهار، والإهماس، وغيرها، عدا النوع الذي اصطلح على تسميته بالمخالفة ـ وسيأتي بيانه ـ.

والمماثلة: "تعديل شائع في تحقيق الوحدات الصوتية، وينتج عن التقاء صوت بصوت مجاور، فيحصل الصوتان المجاوران على خاصيات صوتية مشتركة"(٢). وعرّفها بعضهم بقوله: "هي تأثّر الأصوات المجاورة بعضها ببعض"(٣)؛ لغرض تسهيل اللفظ، أو "هي جعل الصوتين غير المتماثلين متماثلين"(٤). فالأصوات إذن في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، ويرى إبراهيم أنيس أنّه يمكن أن يسمّى هذا التأثّر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، وهذه ظاهرة شائعة في كلّ اللغات بصفة عامّة، غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التأثّر وفي نوعه(٥).

(١) ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العَرف في فن الصرف، دار القلم، بيروت، لبنان، ص٧١. وينظر: إبراهيم محمد أحمد الإدكاوي، اللحن في اللغة العربية أثره ومظاهره، مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٩١م، القاهرة. وينظر: محمود شاكر القطان، من عثرات اللسان والقلم، ص٣٤.

(٢) مكتب: تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانية، ص١٨.

(٣) محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي، الدار التونسية للنشر –والمؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، ط عام ١٩٨٧م، ص١٧٦.

(٤) ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٩، ٢٠١٠م، القاهرة، ص١٤٧.

(٥) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط عام ٢٠١٣م، القاهرة، ص١٦٧.

ومصطلح المماثلة بالمعنى الذي وهبه له المعجم اللساني الحديث مشار إليه في التراث العربي ولكن بمصطلحات مغايرة. فقد استعملَ سيبويه (ت ١٨٥هـ) كميسم لهذه الظاهرة مصطلحَ "المضارعة" وعالجه تحت باب "الحرف الذي يضارع به حرفا من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"(١). ثم أردف موضّحا: "فأمّا الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه، فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدّال، وذلك نحو: مصْدر، وأصْدر، والتصْدير؛ لأنّهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في (افتعل)، فلم تدغم الصاد في التاء، ولم تدغم الدال فيها، ولم تبدل؛ لأنّها ليست بمنزلة اصطبر، وهي من نفس الحرف، فلمّا كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب (مددت)، فجعلوا الأوّل تابعا للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهو الزاي؛ لأنّها مجهورة غيرُ مطبقة، ولم يبدلوها زايا خالصة؛ كراهية الإجحاف بها للإطباق"(٢).

وقال أيضا: "وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهبا في الإدغام؛ وذلك قولك في التصدير: التزدير وفي الفصد: الفزْد، وفي أصدرت: أزدرت، وإنما دعاهم أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهة واحدة، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحدٍ"(٣).

وبعد أن بسط سيبويه الكلام في مبحث الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه وهو الصاد الساكنة التي تليها الدال عرّج على الحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، أي: ليس من مخرج الصاد والسين والزاي، في إشارة إلى حرف الشين في نحو قولك: "أشدق"، فلما كانت الدال مجهورة تأثرت بها الشين

(١) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٤٧٧.

(٢) سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط عام ١٩٨٢م، القاهرة، ٤ / ٤٧٧-٤٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ٤ / ٤٧٨.

فصارت مجهورة فضارعوها بالزاي، يقول: "وأمّا الحرف الذي ليس من موضعه فالشين؛ لأنّها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين، وهي في الهمس والرخاوة كالصاد والسين، وإذا أجريتَ فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك وانفراج أعلى الثنيتين، وذلك قولك: أشدق، فتُضارَع به الزاي"(١).

وبنظرة عجلى في هذا الموضع من المضارعة أو قُل المماثلة نلفي سيبويه يتحدث بضرب من الكلام عن صورة صوتية واحدة يدرجها اللغويون في حقل الحروف الفروع المستحسنة، ويقصدون الشين التي كالجيم، وقد نبّه إلى ذلك كلٌّ من: تمام حسان في سياق حديثه عن الشين المجهورة التي تشبه الجيم في اللهجة السورية واللبنانية(٢)، ومصطفى صادق الرافعي في ثنايا حديثه عن طريقة التحوّل، إذ قال: "الشين التي تكون كالجيم، فإنّهم يُشربونها صوتَ الجيم متى كانت الشين ساكنة قبل دال؛ لأنّ الدال مجهورة شديدة، والشين مهموسة رخوة، فيريدون بهذا النطق تناسب الصوت على ما هو من أمرهم، وذلك نحو أشدق"(٣).

وكذلك من الذين أشاروا إلى مصطلح المماثلة في ميراث الحضارة ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) والرضي الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، فأمّا الأوّل فقد وسمه بالإدغام الصغير الذي يعني تقريب الحرف من الحرف(٤)، والثاني أطلق عليه لفظ المناسبة(٥). فنلحظ أنّ علماء العربية القدامى، وخصوصاً الذين أتوا بعد سيبويه مع الجهود التي بذلوها، والمشاق التي كابدوها في خدمة اللسان العربي هم في سياق حديثهم عن هذا النوع من أنواع التغير الصوتي الذي يعتري اللغة اكتفوا بإشارات

(١) المصدر نفسه، ٤/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٦، ٢٠٠٩م، القاهرة، ص٥٣-٥٤.

(٣) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط٦، ٢٠٠١م، بيروت، ١/ ١١٧.

(٤) ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط١٩٥٥-١٩٥٦م، بيروت، ٢/ ١٤١.

(٥) الرضي الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسين وآخرين، ط عام ١٩٧٥م، بيروت، ٣/ ٤.

وتلميحات من دون مزيد بسط وتفصيل، وهذا ما جعل المحدثين يولون القضية عناية كبيرة، فرأوا أنّ في دراسة المماثلة لابدّ من اعتبار ما يأتي:

* مماثلةٌ تقدّمية progressive assimilation : حين يؤثّر الصوت السابق على اللاحق، وذلك من خلال انتقال الخاصية الصوتية إليه، وأوضح ما يكون في العربية في صيغة "افتعل" حين تكون فاؤها دالا أو ذالا أو زايا أو أحد أصوات الإطباق وهي (ص، ض، ظ، ط). ومن أمثلتها: ازدجر، قلبت تاء الافتعال دالا بعد الزاي؛ لأنّ أصلها "ازتجر"، جهرت التاء –الصوت اللاحق– تحت تأثير الزاي المجهورة –الصوت السابق– فتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال. وكذلك الحال للأفعال التي حملت الفاء فيها صوتا مطبقا مفخما نحو:

– صبر ----> اصتبر ----> اصطبر

– ضرب ----> اضترب ----> اضطرب.

– ظلم ----> اظتلم ----> اظّلم

– طلع ----> اضتلع ----> اطّلع.

حدث تماثل تقدميّ في جميع الأفعال، والسبب أنّ الصوت الصامت في الأفعال الأربعة وهو الصاد في الأوّل، والضاد في الثاني، والظاء في الثالث، والطاء في الرابع يتميّز بالصفة التفخيمية فأثّر بشكل مباشر على الصامت الذي يليه وهو التاء؛ لمجاورته إياه، فصبغه بالصبغة التفخيمية في الفعلين الأوّل والثاني، أمّا في الفعلين الثالث والرابع فنلحظ تأثير الظاء على التاء بتحويلها إلى طاء، غير أنّ العسر في التحقيق النطقي حولها إلى ظاء أخرى لتدغم في سابقتها فتصبح اظّلم، والشيء نفسه حدث لاطّلع(١).

(١) ينظر: مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانية، ص١٢٠. وينظر: عبد القادر عبدالجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر، ط١، ١٩٩٨م، عمان، ٢٨٧–٢٨٨. وينظر: زين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعرفة الجامعية، ط٢٠٠٨م، مصر، ص١٢٥.

* مماثلة رجعية Regressive assimilation : حين يكون التأثير من الصوت اللاحق على الصوت السابق، مثل: تحويل فاء الافتعال إذا كانت واوا إلى تاء نحو: اتّعد من اوتعد(١). ومن الأمثلة التي يصدق عليها المماثلة الرجعية الآتي: واثّاقلتم من تثاقلتم، وادّاركوا من تداركوا، ويذّكّر من يتذكّر، وازّيّنت من تزيّنت، ويضّرعون من يتضرعون، واطّيرنا من تطيرنا وبرجلِه من برجلِهُ – تحولت الضمة في الضمير هُ إلى كسرة هِ لتماثل كسرة اللام قبلها، ومنه أيضا: وعليهِ من وعليهُ، وبصاحبهِم من بصاحبهُم ... ويجدر الإشارة في هذا السياق إلى أمرين:

– الأوّل أنّه قد لوحظ أنّ المماثلة الرجعية هي الصورة الأكثر وقوعا في اللغة العربية، حيث تسير في أمثلتها على قياس مطرد، على حين لا تكون المماثلة التقدمية إلا في أمثلة قليلة مسموعة، وتنقاس في بعض أمثلة صيغة الافتعال السابقة(٢).

– والثاني أن بعض القراءات القرآنية قد حافظت على الضمة ولم تحولها في الضمير المكسور ما قبله إلى كسرة، كقراءة حفص عن عاصم، الذي حافظ على أصل الحركة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وما أنسَانِيهُ إلا الشيطانُ**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**ومنْ أوْفَى بِمَا عاهَدَ عليْهُ اللهَ**﴾(٤). والقبائل الحجازية ـ كما ذكر سيبويه ـ حافظت على هذا الأصل في نطقها، "فالهاء تكسر (يقصد عند غير أهل الحجاز) إذا كانت قبلها ياء أو كسرة... وذلك قولك: مررت بهي قبلُ، ولديهِما مال،

(١) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ط١٩٩٧م، القاهرة، ص٣٧٩.

(٢) ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٠م، ص٢١٠. وينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ٢٠٠٨م، القاهرة، ص١٩٩–٢٠٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١.

ومررت بـدارهي قبـلُ. وأهل الحجـاز يقولـون: مررت بـهو قبل، ولديـهو مال، ويقرؤون: "فخسفنا بهو وبدارهو الأرض"(١).

* مماثلة بين أصوات غير متاخمة: مثل: تفخيم السين في سيراط ومسيطر تحت تأثير الطاء المفخّمة، وتسمّى مماثلة تباعدية distant assimilation.

* مماثلة جزئية: Partial assimilation وذلك حين لا يتطابق الصوت مع الآخر، مثل: أنبأك، انبعث، انبرى التي تنطق النون فيها ميما تحت تأثير الباء الشفوية (فنتيجة ن+ب هي م+ب وليس ب+ب)(٢).

* مماثلة تامة أو كلية Total assimilation : حين يتطابق صوتان، أو حين يمتص عنصر صوتي لآخر بشكل تام(٣)، مثل: الشمس (ال+شمس– اش+شمس) نسجّل تغيّر اللام إلى شين التي تليها، فالمماثلة تامة.

وتعدّ لام التعريف أعمّ ظواهر المماثلة التامة شيوعا في الاستعمال العربي، فقد جرى الاستعمال باختفائها مع ثلاثة عشر صوتا، هي أصوات مقدّم الفم: ت – ث – د – ذ – ر – ز – س – ش – ص – ض – ط – ظ – ن، وتظهر مع بقية أصوات اللغة الخمسة عشر، وهي: ء – ب – ج – ح – خ – ع – غ – ف – ق – ك – ل – م – ه – و – ي، والعلة في خفاء اللام وظهورها تعزى إلى(٤):

– أنّ اللام اختفت مع أصوات مقدّم الفم، بسبب التقارب الصوتي والمخرجي، وبسبب ضعف موقع اللام، وقوة موقع الصوت بعدها، بالمقياس السابق، وقد جرى تأثر اللام في صورة المماثلة الرجعية الكلية.

(١) سيبويه، الكتاب، ٢ / ٢٩٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٧٩. وينظر: محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي، ص١٧٦.

(٣) ينظر:مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانية، ص٥٠.

(٤) ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٢١٢.

– أنّ اللام ظهرت مع بقية الأصوات؛ نظرا إلى التباعد المخرجي، الذي يسّر نطق الصوتين بكلّ خصائصها، ونستطيع أن نتذوّق هذا التباعد بنطق كل صوت من الخمسة عشر صوتا تاليا للام التعريف، ولسوف يظهر حينئذ مدى التباعد بينهما.

– مصطلح المماثلة عند رمضان عبد التواب:

وفي سياق بحث المماثلة عند اللسانيين المحدثين تجدر الإشارة إلى أنّ رمضان عبد التواب عدل عن مصطلحي مماثلة تقدّمية ومماثلة رجعية إلى مصطلحي التأثر المُقْبل والتأثر المدْبِر. وتتخذ المماثلة عنده أشكالا مختلفة، فإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر كلّي، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر جزئي. وفي كل حالة من هذه الحالات، قد يكون الصوتان متصلين تماما، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، من الأصوات الصامتة أو الحركات، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات. وكل هذه التقسيمات نتج عنها ثمانية أنواع من التأثر الصوتي الذي يؤدي إلى التماثل أو التقارب بين الأصوات(١):

* التأثّر المقبل الكلي في حالة الاتصال: في هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي قبله مباشرة فيتحول إلى نفس الصوت السابق، من أمثلته: تأثر تاء الافتعال دائما بالدال أو بالطاء قبلها، فتقلب دالا أو طاء مثل: ادترك = ادّرك، ادتهن = ادّهن، اطتلب = اطّلب، اطتلع =اطّلع، اطترد = اطّرد.

* التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال: في هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي يسبقه، ولكن يفصله فاصل من صوت صامت أو صائت فيتحول إلى صوت

(١) ينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، الناشر مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٩٧م، القاهرة، ص٣١ إلى ٤٨. وينظر: رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط٢، ٢٠٠٠م، القاهرة، ص٤٢–٤٥. وينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ٢٠٠٨م، القاهرة، ص١٩٦–٢١٣.

مماثل بالصوت السابق، ومن أمثلته: روى أبو بكر الزبيدي أنّ عوام الأندلس في القرن الرابع الهجري، كانوا يقولون: خيْزَرَان وسيْكَرَان، وهو نبْت تدوم خضرته في القيظ، بدلا من: خيزُران وسيكُران[1]. ومنه: "فيهُ، عليهُ" أصبحت: "فيهِ، عليهِ" تحولت الضمة في الضمير هُ إلى كسرة هِ لتماثل الكسرة الطويلة قبلها في الأولى، ولتماثل الياء قبلها في الثانية.

* التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال: يكون ذلك بأن يتأثّر الصوت بصوت سابق عليه يماثله في القرابة من حيث المخرج أو في بعض الصفات الصوتية، فيتحول الصوت اللاحق إلى صوت آخر قريب الشبه في المخرج أو في الصفات، ومن أمثلته: روى أبو الطيب اللغوي أنّه يقال في "نَشْز": "نشْس"، كما يقال في: "رجل جبس" للرجل الدنيء: "رجل جِبْز"[2]، ففي المثال الأوّل تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو السين، وفي المثال الثاني تأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو الزاي.

* التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال: ويكون ذلك بأن تتأثر الأصوات اللاحقة، بما قبلها من الأصوات، غير المتصلة بها مباشرة، حيث يفصل بينهما فاصل ويجري التحوّل في ضوء القرابة من حيث المخرج أو الاتفاق في الصفة الصوتية، ومن أمثلة ذلك: تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور وهو الزاي في كلمة: مِهراس، التي صارت: مهراز في لهجة الأندلس العربية، في القرن السادس الهجري[3].

* التأثّر المدبر الكلي في حالة الاتصال: ويكون ذلك بأن يتأثّر الصوت بما يليه

(١) أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٢٤.

(٢) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، تح: عز الدين التنوخي، ١٩٦٠م، دمشق، ٢/ ١١٨.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، دراسة وتحيقيق: مأمون بن محي الدي الجنّان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م، بيروت ص١١٣.

مباشرة من الأصوات فيتحول إلى نفس الصوت، ثمّ يدغم فيه، ومن أمثلته: تأثّر النون في إنْ" وأنْ ومنْ وعنْ بالميم واللام التي تليها، فتقلب ميما أو لاما، نحو: إمّا وأمّا وألّا وممّا وعمّا، وما إلى ذلك. وروى لنا اللغويون في "وَتِد": ودّ، وقالوا: "الأصل: وتد، وهي اللغة الحجازية الجيدة، ولكنّ بني تميم يسكنون التاء ويدغمونها في الدّال"(١). وهذا النوع موجود بكثرة في القرآن وفي لغة العرب نحو: واثّاقلتم من تثاقلتم، وادّاركوا من تداركوا.

* التأثّر المدبر الكلي في حالة الانفصال: ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه، ولكن مع وجود فاصل بينهما، ويحصل هذا التأثّر بسبب تقارب المخرج أو بالاتفاق في صفات الأصوات، ومن أمثلته: تطوّر كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة: مِفْعَل ومِفْعَلة، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري(٢)، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال مثل: مَقْود ومَسَنّ، ومَقْنع للثوب الذي يغطى به الرأس، ومَطْرد للرمح الصغير. وقد استمر ذلك في القرون التالية، فقد روى لنا ابن هشام اللخمي (ت٥٧٧هـ) أنّ الأندلسيين كانوا يقولون: مَصيدة، ومَطرقة ومَغرفة، ومَرود، ومَشرط، ومَنجل، ومَنبر، ومَكنسة، ومَروحة، ومَلعقة(٣).

* التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال: يحدث ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه مباشرة، فيتحول الصوت السابق إلى صوت قريب من الصوت اللاحق، سواء من حيث المخرج أو من حيث الصفات، ومن أمثلة ذلك: تأثر النون

(١) الزجاجي، الجمل، نشر العلامة ابن أبي شنب، ١٩٥٧م، باريس، ص٢٨٠.

(٢) ينظر:ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، ص١١٢. وينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص٤٣-٤٤.

(٣) ينظر: ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، ص١١١- ١١٢.

الساكنة بالباء التالية لها، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم، إذ هو شفوي كالباء، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب، في مثل قوله تعالى: "من بعد ما جاءهم"، وقوله تعالى: "عليم بذات الصدور"، وقوله: "إذ انبعث أشقاها". وفي عصرنا الحاضر تقول العامة يسحف بدلا من: يزحف(١)، فقد تأثرت الزاي في هذا المثال، وهي صوت مجهور، بالحاء التالية لها، وهي صوت مهموس فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين.

* التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال: يحدث ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي بعده، بشرط أن يفصل بينهما صوت آخر، فيتحول الصوت المتأثر إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي بعده في المخرج أو في الصفات الصوتية الأخرى، ومن أمثلته: روى ابن هشام اللخمي أنّ الناس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في: سِرْداب، زِرداب(٢). ومن أمثلته: ما ورد عن قراءة "ورش عن نافع" "أم هم المصيطرون" "ولست عليهم بمصيطر"، بإخلاص الصاد(٣)، حيث تأثر السين المرققة بصوت الطاء المفخمة فقلبت صادا لتناسب الطاء المفخمة.

وممّا سلف نخلص إلى ضرورة وجود علاقة صوتية بين صوتين كي يتحقق التأثير والتماثل، ولكنّ شرط هذه العلاقة أمران:

– الأوّل: تقارب المخرج أو اتحاده.

– الثاني: كون الصوتين من مجموعة واحدة، من الصوامت أو الحركات. فلا يمكن أن يؤثر صوت في آخر بعيد عنه مخرجا، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلا، إلى صوت آخر من أصوات الحلق، وكذلك العكس، وقد

(١) أسعد داغر، تذكرة الكتاب، ١٩٢٣م، القاهرة، ص٨٥.

(٢) ينظر: ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، ص١٤٥.

(٣) ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص٤٨.

نبّه إلى هذا ابن جنّي، فقال: "فأمّا قول من قال في قول تأبط شرًّا:

كأنّما حثحثوا حُصًّا قوادمُه أو أُمَّ خشف بذي شَتٍّ وطُبّاق

إنّه أراد: حثّثوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاء، فمردود عندنا، وإنّما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر بن السراج معهم، وسألت أبا علي عن فساده فقال: العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف، إنّما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهمزة والهاء والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه، فأمّا الحاء فبعيدة عن الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها. قال: وإنّما (حثحث) أصل رباعي، و(حثّث) أصل ثلاثي، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه، إلا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة، و(حثّث) من مضاعف الثلاثة"(١).

*** الإدغام:**

تميل اللغة العربية إلى الخفّة والسهولة، وتنزع إلى المماثلة بصورها المختلفة من إمالة، وإبدال، وإعلال، وجهر، وهمس، وإدغام. ولعل الصورة الأخيرة أكثر صور التماثل وقوعا في العربية. والإدغام هو أن يتماثل صوتان في الكلام بحسب وضعهما أو بتأثير أحدهما على الآخر فيتماثل معه، فتعتمد لهما في اللسان اعتمادة واحدة(٢). وقد وصف سيبويه أحد أنواع الإدغام، وهو إدغام المتقاربين فقال: "الإدغام إنّما يدخل فيه الأوّل في الآخر، والآخر على حاله، ويُقْلَبُ الأول فيدخل في الآخر، حتى يصير هو والآخر من موضع واحد"(٣). وباستقراء كلام العرب وقف سيبويه على جملة من صور الإدغام، منها:

(١) ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧م، بيروت، ١/ ١٩٣.

(٢) المبرّد، المقتضب، تح: حسن حمد، دار الكتب العلمية، ط١٩٩٩م، بيروت، ١/ ٢٢٧. وينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، ط٢٠٠٧م، دمشق،٢٣٦.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٤/ ١٠٤.

* الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانَك لهما موضعا واحدا.
* الإدغام في الحروف المتقاربة.
* الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.
* الإدغام في ألفاظ شاذّة(١).

وقد ذكر المبرد في "المقتضب" "إدغام المثلين" وهو النوع الأول مما ذكره سيبويه، وقال عنه: "اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحدا، فسُكّن الأوَّلُ منهما، فهو مدغم في الثاني. وتأويل قولنا "مدغم" أنه لا حركة تفصل بينهما، فإنّما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة؛ لأنّ المخرج واحد، ولا فصْل، وذلك قولك: قطّع، وكسّر".

والإدغام عند الزجاجي على نوعين: إما "أن يلتقي حرفان من جنس واحد فتُسكّن الأوّل منهما، وتدغمه في الثاني؛ أي: تدخله فيه، فيصير حرفا واحدا مشدّدا، ينبو اللسان عنه نبوة واحدة. أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج، فتُبدِل الأوّل من جنس الثاني، وتدغمه فيه"(٢). وما خطه الزجاجي لا يبعد عما قاله ابن جني في تأثير الأصوات بعضها في بعض، فقد ميّز بين الإدغام الأكبر والإدغام الأصغر، جاعلا الأول للظاهرة التي يذوب فيها أحد الصوتين في الآخر، والثاني للظاهرة التي يحدث فيها تأثير بين صوتين ويصل حد الإدغام والذوبان(٣).

وفي الدرس اللساني الحديث ذكر علماء اللسان جملة من صور الإدغام، وهي(٤):

(١) المصدر نفسه، ٤/ ٤٣٧ وما بعدها.
(٢) الزجاجي، الجمل، نشر بن أبي شنب، ١٩٥٧م، باريس، ص٣٧٨.
(٣) ابن جنين الخصائص، ٢/ ١٤١.
(٤) محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي، ص٦٧-٦٨-٦٩.

* إدغام تأخري أو رجعي (Assimilation régressive): تدغم الواو في الياء المجاورة لها إدغاما تأخريا: أيوام–أيّام.

* إدغام المتجانسين (Assimilation de deux consonnes similaires): أي: إدغام حرفين لهما نفس المخرج، ولكن ليس لهما نفس الصفات.

* إدغام صغير (Assimilation en contact): وهو الشائع المروي عن جمهور القراء، وفيه يتحقق مجاورة الصوتين المتجانسين أو المتقاربين، إذ لا فاصل بينهما.

* إدغام تقدمي (Assimilation progressive): تدغم الواو في الياء المجاورة لها إدغاما تقدميا: طوْي– طيّ.

* إدغام تقريب (Assimilation partielle): وقد خص النحاة العرب هذا النوع من الإدغام ـ ويسمى أيضا الإدغام الجزئي ـ بحيز عظيم في كتبهم، ووسموه: بـ"البدل"، أو "الإبدال"، أو "القلب"، أو "الإقلاب"؛ أي: إحلال حرف محل حرف آخر.

* الإدغام بالغنّة (Nasalisation): إدغام النون إدغاما ناقصا وهو فناء النون مع بقاء ما يشعر بها، وهو الذي اصطلح على تسميته الإدغام بالغنة، فقد تفنى النون تاركة وراءها نوعا من الغنة، وذلك عند مجاورتها للياء والواو. فإذا ولي النون المشكلة بالسكون ياء أو واو لشددت الياء أو الواو، ثم سمح عند النطق بهما أن يتخذ الهواء مجراه في طريقين معا، هما الفراغ الأنفي والفم، وهذا ما اصطلح المحدثون على تسميته Nasalisation مثل: من يقول، من وال...

* إدغام كبير (Assimilation à distance): هو إدغام حرفين تفصل بينهما حركة، ويقع الإدغام في هذه الحالة بسقوط، أي: حذف الحركة (أي: بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة) أولا، ثم بإدغام أحد الحرفين في الآخر. وفي

العموم هو: أن يفصل بين الصوتين المتجانسين أو المتقاربين صوت لين قصير.

* إدغام المتماثلين (Assimilation de deux consonnes identiques): إدغام حرفين لهما نفس المخرج ونفس الصفات.

* إدغام ناقص (Assimilation incomplète): فيه لا يحدث فناء أحد الصوتين، بل يترك الصوت بعد فنائه أثرا يشعر به، كما هو الحال في الإدغام مع الغنة.

* إدغام كامل (Assimilation totale): إذا لم نلحظ أثرا للصوت بعد فنائه وسموه إدغاما كاملا أو فناء كاملا.

- المخالفة:

يطلق على أي تغيير صوتي يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين صوتيتين مصطلح المخالفة أو المغايرة. وبعض اللغويين -كأحمد مختار عمر- يجعل المخالفة مقابلا للمصطلحين الغربيين dissimilation وdifférenciation[1] من دون تفريق، على حين يقصر بعض اللغويين ـ كعبد الصبور شاهين ـ المصطلح الأوّل على حالة كون الفونيمات مفصولة عن غيرها، "إذا ما كانت الوحدات الصوتية موضوع الخلاف متباعدة"، والثاني على حالة تجاور الفونيمين، "إذا كانت الوحدتان متصلتين"[2].

وقد عرّف فندريس المخالفة بقوله: "ينحصر التخالف، وهو الشكل المضاد للتشابه في أن يعمل المتكلّم حركة نطقية مرّة واحدة، وكان حقّها أن تعمل مرّتين"[3]، ودلّت البحوث الوازنة التي أنجزت في هذا السياق على أنّ المخالفة ظاهرة موجودة في كثير من اللغات، فبها فُسّر التغيّر الذي حدث للنطق الفرنسي

(١) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨٤.

(٢) برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تع: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ط١٩٨٥م، القاهرة، ص١٤٨.

(٣) فندريس، اللغة، تعـ: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص٩٤.

الشعبي colidor في corridor، ونطق الفرنسية الحديثة couloir للكلمة القديمة جدا couroir، ونطق الإسبانية àrbol (الشجرة) في arbor اللاتينية. وكغيرها من اللغات عرفت العربية ظاهرة المخالفة في عدد كبير من الكلمات، نبّه إليها أهل اللغة قديما، ولكن تحت عناوين مختلفة، منها[١]:

* كراهية التضعيف.
* كراهية اجتماع المثلين.
* كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد.
* توالي الأمثال.
* وما شبهه من المضاعف بالمعتل.

ومن أمثلة المخالفة الصوتية عند القدماء نذكر:

* عند الكسائي (ت١٨٩هـ):

ذكر أنّ النّاس في عصره كانوا يزيدون النون في هذه الكلمات: "أُترجّ، وإِجّانة وإِجّاص"، يقولون: أترنج، إِنجانة، إِنجاص[٢].

* عند ابن السّكّيت (ت٢٤٦هـ):

حكى عن العرب قولهم: "الذم" و"الذام" للعيب[٣].

* عند أبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ):

ذكر أنّ أهل الأندلس يقولون: "كرناسة" في "كراسة"[٤].

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٢/ ١. والمبرد، المقتضب، ١/ ٢٤٦. وابن جني، الخصائص، ٣/ ٩٠-٩١. وأبو الطيب اللغوي، الإبدال، ٢/ ٣٣٧. وابن يعيش، التصريف الملوكي، ص٤٥١. وعبد القادر عبدالجليل، الأصوات اللغوية، ص٢٩٥.

(٢) الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة، ما تلحن فيه العامّة، تح: رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، ط٢، ٢٠٠٢، القاهرة، ص١١٦.

(٣) ابن السّكّيت، القلب والإبدال، ط بيروت، ١٩٠٣م، ص٢٦

(٤) الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، ط١٩٦٤م، القاهرة، ص٣٥-١٦١-٢٦٤.

* عند إسماعيل بن حمّاد الجوهري (٣٩٣هـ) صاحب الصحاح:

قدّم لنا بابا تنقاس فيه المخالفة من وجهة نظره، حين رأى أنّ الرباعي المضاعف مأخوذ من الثلاثي المضعّف، فالفعل "سغسغ" أصله: سغغ، ثمّ ضوعف فصار سغّغ[١]، فلما استثقلت الغينات الثلاث قلبت إحداها سينا من جنس الصامت الأوّل، وهي الغين الوسطى، فقيل: سغسَغ؛ ومعنى ذلك أن المخالفة قياس في العلاقة بين المضعّف والمضاعف، فكل مضعّف يصير مضاعفا على الوجه التالي:

- مصّ ---> مصَصَ ---> مصَّصَ ---> مصمص.

- بحّ ---> بَحَحَ ---> بحّحَ ---> بحبح.

وإن كان علماء الصرف لم يروا هذا الرأي، فهم يعدّون أنّ كلا من المضعّف والمضاعف أصل بذاته[٢].

* عند ابن مكّي الصقلّي (٥٠١هـ):

ساق بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسّر في ضوء المخالفة الصوتية، منها قول العامة للعنز: معْزة، ولبعض العصافير: زُرْزُر، بدلا من: ماعزة، وزُرزور. ونحو قولهم للإصبع: بهْم بدلا من إبهام، وقولهم: مَشَيْنا في دَهَس بدلا من دِهاس[٣].

* عند أبي منصور الجواليقي (ت٥٣٩هـ):

روى أنّ عوام عصره كانوا يقولون: "مِنْطر" في "مِمطر"، و"فرمش" في "طمّش"[٤].

---

(١) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، بيروت، ٤/ ١٣٢١.

(٢) برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تع: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ط١٩٨٥م، القاهرة. ص١٤٩-١٥٠.

(٣) ابن مكي الصقلّي، تثقيف اللسان وتَلقيح الجِنان، قدّم له مصطفى عبد القادر عطا، ص٨٤.

(٤) الجواليقي، التكملة فيما تلحن فيه العامة، نشر ديرنبورج- ليبزج، ص١٣٤-١٣٩.

* عند ابن هشام اللخمي الأندلسي (ت٥٧٧هـ):

حكى عن عوام عصره أنّهم كانوا يقولون: "عَدَنْبَسٌ فيلحقون النون" بدلا من "عَدَبَّسٌ"، قال أبو حاتم: العدبّس: الأسد، وقال غيره: الجمل الضخم الشدّيد[١].

* عند أبي محمد عبد الله بن بري (ت٥٨٢هـ):

روى في مؤلَّفه: "غلط الضعفاء" أنّ بعض الفقهاء قال: لا بأس أن يحرم الرجل في البَرْنكات بدلا من: "البرنكيّات"، يقال: كساء برنكانيّ لبعض الألبسة السود. وحكى كذلك عن بعض الفقهاء قولهم: مِرْعِزٌ بدلا من: مِرْعِزاء أو مِرْعِزَّى[٢].

* عند ابن الحنبلي (ت٩١١هـ):

ساق في مؤلَّفه: "سهم الألحاظ في وهْم الألفاظ" قول بعض العامة: ناطرون بالنون، لقرية بالشام، بدلا من: ماطرون بالميم. وقول بعض آخر: النّوفَرُ: لضرب من الرياحين ينبت في المياه الرّاكدة، بدلا من أن يقال فيه: النّيْلُوفَرُ أوْ النّيْنُوفَرُ، بنون مفتوحة بعدها مثنّاةٌ تحتيّة ساكنةٌ فلامٌ ونونٌ مضمومتان[٣].

ومما سبق نهتدي إلى أن التغيّر الصوتي بالمماثلة إذا كان يهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق، ولا يلقي بالا إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثّر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين؛ فإنّ التغيّر الصوتي بالمخالفة ينظر إليه ـ عكس ذلك ـ إنّه يهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، ولا يلقي بالا إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين، وبناء على تأكد أنّ المماثلة والمخالفة يمثلان عاملين يتجاذبان اللغة، ولكل منهما فاعليته

(١) محمد بن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دراسة وتحقيق: مأمون بن يحي الدين الجنّان، ص٢٠٤–٢٠٨.

(٢) ابن بري، غلط الضعفاء من الفقهاء، تح: حاتم صالح الضامن، (ضمن كتاب أربعة كتب في التصحيح اللغوي)، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٧م، بيروت، ص٢٥.

(٣) ابن الحنبلي، سهم الألحاظ في وهْم الألفاظ، تح: حاتم صالح الضامن، (ضمن كتاب أربعة كتب في التصحيح اللغوي)، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٧م، بيروت، ص٣٤.

وتأثيره، ولكل منهما هدفه وغايته، ومن صراعها يحدث التوازن بين مطلب سهولة النطق ومطلب سهولة التفريق بين المعاني(١).

ويعزى التغير الصوتي إلى الأسباب الآتية(٢):

* اختلاف أعضاء النطق: زعم بعض علماء اللسان أن التغيير الذي يلحق الأصوات من جيل إلى جيل مبعثه التطور العضلي في أعضاء النطق، وهذه وجهة نظر لم يستطع علماء التشريح البرهنة عليها.

* البيئة الجغرافية: عزا H.Collitz تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة، للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا، وقد أكد أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال b.d.g فتهمس أولا، وتصبح على الترتيب p.t.k ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة (الفاء. الثاء. الهاء) على الترتيب، وأشار إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس، ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة. وقد عارض jespersen هذه الفكرة استنادا إلى أن التطور نفسه المشار إليه يحدث في البيئات السهلة.

* الحالة النفسية: الشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، فإذا اعتز الشعب بقوته مال إلى العكس. ويمكن أن نستأنس لهذا الرأي بما تداول عن اللهجات العربية القديمة، فالبيئات المتحضرة في جزيرة العرب كانت تميل إلى الأصوات الرخوة، والبيئات البدوية كانت تميل إلى الأصوات الشديدة.

* نظرية السهولة: ذهب ماكس مولر Max muller ووتني Whitney إلى أن التطور الصوتي يتجه نحو تسهيل النطق، ويعمل على تحقيق الاقتصاد في المجهود.

(١) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨٦.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٢٠١٣م، القاهرة، ص٢١٤-٢١٦.

ويرى علي عبد الواحد وافي أن الحالة التي تتطور إليها أصوات الكلمة في جيل ما حقا تكون دائما أكثر من حالتها الأولى تلاؤما مع طبيعة أعضاء النطق واستعدادها عند أهل الجيل، ولكن لفظها قد يتطلب من الأعمال الصوتية وحركات أعضاء النطق أكثر مما يتطلبه لفظ الكلمة القديمة، فلا يتحقق حينئذ ـ من وجهة نظره ـ الاقتصاد الذي تقول به هذه النظرية(١).

* نظرية الشيوع: نادى بهذه النظرية Vilelm Thomsen وغيره من المحدثين، وتقرر هذه النظرية أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها . وقد كان القدماء من علماء العربية يحسون بصحة هذه النظرية، وإن لم يحاولوا تطبيقها في تفسير كثير من الظواهر اللغوية، ولكنهم كانوا يشيرون إلى الفكرة في أثناء كتبهم ولا سيما في حديثهم عن الترخيم في النداء(٢).

* تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض: يحدث بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة في الكلمة من ظواهر التفاعل أنواع كثيرة يؤدي كل نوع منها إلى نتائج ذات بال في التطور الصوتي(٣)، وقد عرضنا لظاهرتي المماثلة والمخالفة.

* أخطاء السمع: تسهم في التغير الصوتي للعربية.

(١) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص٢٨٨.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٢١٩.

(٣) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص٢٩٨.

قائمة المصادر والمراجع

١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٢٠١٣م، القاهرة.

٢) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، سنة ١٩٦٣م.

٣) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢٠١٠م، وط ١٩٥٨م، القاهرة.

٤) إبراهيم السامرائي، التطوّر اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط ١٩٩٧م بيروت.

٥) إبراهيم محمد أحمد الإدكاوي، اللحن في اللغة العربية أثره ومظاهره، مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٩١م، القاهرة.

٦) ابن بري، غلط الضعفاء من الفقهاء، تح: حاتم صالح الضامن، (ضمن كتاب أربعة كتب في التصحيح اللغوي)، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٧م، بيروت.

٧) ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط١٩٥٥-١٩٥٦م، بيروت.

٨) ابن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية.

٩) ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧م، بيروت.

١٠) ابن جني، المحتسب، تح: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبدالفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٩٩٤م، القاهرة.

١١) ابن الحنبلي، سهم الألحاظ في وهْم الألفاظ، تح: حاتم صالح الضامن، (ضمن كتاب أربعة كتب في التصحيح اللغوي)، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٧م، بيروت.

١٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٤٥هـ، حيدر أباد.

١٣) ابن السّكّيت، القلب والإبدال، ط بيروت، ١٩٠٣م.
١٤) ابن سيده، المخصص في اللغة، ط بولاق، ١٣٢١هـ.
١٥) ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة العربية، تح: عمر فاروق الطبّاع، دار مكتبة المعارف، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٣م.
١٦) ابن قتيبة، أدب الكاتب، شرحه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣م، بيروت.
١٧) ابن مكي الصقلّي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدّم له مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، بيروت.
١٨) ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، دراسة وتحيقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م، بيروت.
١٩) ابن يعيش، شرح المفصل، دار الاستقامة، القاهرة، (د. ت. ط).
٢٠) أبو البقاء العكبري، المسائل العُكبريات في النحو واللغة والقراءات، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨ م، دمشق.
٢١) أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٢) أبو الطيب اللغوي، الإبدال، تح: عز الدين التنوخي، ١٩٦٠م، دمشق.
٢٣) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، قاموس اللغة–المصباح المنير، طبعة نوبليس، القاهرة.
٢٤) أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، سنة ١٩٩٦م، القاهرة.
٢٥) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٩م، دمشق.
٢٦) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ط١٩٩٧م، القاهرة.

٢٧) أحمد مختار عمر، العربية الصحيحة، عالم الكتب، ط٢، سنة ١٩٩٨م.
٢٨) أحمد مختار عمر وفريق عمله، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، القاهرة.
٢٩) أسعد داغر، تذكرة الكتاب، ١٩٢٣م، القاهرة.
٣٠) الأعشى، الديوان، د.محمد حسين، مكتبة الآداب، ط١٩٥٠م، القاهرة.
٣١) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الطلائع، ط ٢٠٠٥م، القاهرة.
٣٢) برتيل مالمبرج، علم الأصوات، تع: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ط١٩٨٥م، القاهرة.
٣٣) البطليوسي، الاقتضاب، دار الجيل، بيروت.
٣٤) البغدادي، ذيل الفصيح، مطبعة السعادة، ط ١٩٠٧م، مصر.
٣٥) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٦، ٢٠٠٩م، القاهرة.
٣٦) تمام حسان، اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول القاهرية، ج١، ع٣، م٤، ١٩٨٤م.
٣٧) التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، سنة ١٩٩٦م، لبنان.
٣٨) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: املين نسيب، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م، بيروت.
٣٩) الثعالبي، فقه اللغة ،حقـ:عمر الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، سنة ١٩٩٩ الكويت.
٤٠) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، دار الجيل، ط١، سنة ١٩٨٢م، بيروت.
٤١) جورج يول، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٠م، الإسكندرية، مصر.

٤٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، بيروت.

٤٣) حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ٢٠٠٨م، القاهرة.

٤٤) حسن حمائز، التنظير المعجمي والتنمية المعجمية في اللسانيات المعاصرة مفاهيم ونماذج تمثيلية، عالم الكتب الحديث، ط١، سنة ٢٠١٢م، إربد، الأردن.

٤٥) حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم- الدار الشامية، ط٢، ١٩٩٠م، بيروت-دمشق.

٤٦) داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، مؤسسة الصباح، ١٩٧٩م، الكويت.

٤٧) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، تر: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ط ١٩٨٥م.

٤٨) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٩٧م، القاهرة.

٤٩) رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط٢، ٢٠٠٠، القاهرة.

٥٠) الزبيدي، لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، ط١٩٦٤م، القاهرة.

٥١) الزجاجي، الجمل، نشر العلامة ابن أبي شنب، ١٩٥٧م، باريس.

٥٢) الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

٥٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل..، دار الفكر، ط ١٩٧٩م.

٥٤) زين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعرفة الجامعية، ط٢٠٠٨م، مصر.

٥٥) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب ، ط١٩٨٨م. وطبعة دار غريب للطباعة والنشر، ط١٢، ١٩٩٧م، القاهرة.

٥٦) السيوطي جلال الدين المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، وطبعة دار الفكر.

٥٧) سيبويه، الكتاب، تح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة .

٥٨) السكاكي، مفتاح العلوم، ط مصطفى الحلبي.

٥٩) شوقي ضيف، تيسيرات لغوية، دار المعارف، ١٩٩٠م، القاهرة.

٦٠) عبد الرحمن أيوب، التطور اللغوي، دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٦٤م.

٦١) عبد السلام مسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م، بيروت.

٦٢) عبد الفتاح سليم، اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، مكتبة الآداب، ط٢، سنة ٢٠٠٦م، القاهرة.

٦٣) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر، ط ١٩٩٨م، القاهرة.

٦٤) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر، ط١، ١٩٩٨م، عمان.

٦٥) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي مؤسسة الرسالة، ط١٩٨٠م.

٦٦) عز الدين الكتاني الإدريسي، بعض الوسائل اللغوية المستعملة في توليد

المصطلحات، وقائع ندوة الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

٦٧) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١٣، ٢٠١٠م، مصر.

٦٨) فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية.

٦٩) قدامة، نقد الشعر، ط المليجية، ١٩٣٤م.

٧٠) الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة، ما تلحن فيه العامّة، تح: رمضان عبدالتوّاب، مكتبة الخانجي، ط٢، ٢٠٠٢م، القاهرة.

٧١) كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٧م، بيروت.

٧٢) كمال بشر، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، ط٦، القاهرة.

٧٣) كيفورك ميناجيان ،النحت قديما وحديثا ،مجلة اللسان العربي، م٩، ج١، يناير ١٩٧٢م.

٧٤) مارتينيه، مبادئ اللسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، وزارة التعليم العالي، ١٩٨٥م، دمشق.

٧٥) ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٩، ٢٠١٠م، القاهرة.

٧٦) المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٣٥٨هـ، القاهرة.

٧٧) محمد بن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دراسة وتحقيق: مأمون بن يحي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م، بيروت.

٧٨) محمد تقي الدين الهلالي، تقويم اللسانيين، مكتبة المعارف، ط٢، ١٩٨٤م، الرباط.

٧٩) محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم– جامعة القاهرة، د. ت. ط.

٨٠) محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية معم عربي أعجمي وأعجمي عربي، الدار التونسية للنشر –والمؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، ط ١٩٨٧م.

٨١) محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ط١٩٨٢م. – محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٩م، القاهرة.

٨٢) محمد ضاري حمادي، النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات العلمية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣١، نيسان ٨٠.

٨٣) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، ط٢٠٠٥م، بيروت.

٨٤) المرزباني، الموشح، ط نهضة مصر، ١٩٦٥م.

٨٥) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط٦، ٢٠٠١م، بيروت.

٨٦) مكتب تنسيق التعريب ،المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانية إنجليزي– فرنسي– عربي، سلسلة المعاجم الموحدة رقم: ٠١، طبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، سنة ٢٠٠٢م.

٨٧) مهدي أسعد عرار، التطور الدلالي الإشكال والأشكال والأمثال، دار الكتب

العلمية، ط١، ٢٠٠٣م، بيروت.

٨٨) مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل، ط١، سنة ٢٠٠٢م، عمان.

٨٩) نور الهدى لوشن، حروف الجر في العربية بين المصطلح والوظيفة، المكتب الجامعي الحديث، ط ٢٠٠٦م.

٩٠) نور الهدى لوشن، علم الدلالة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. ط.

٩١) وجيه السمان، النحت، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م٥٧، ج١-٢، يناير-أبريل، ١٩٨٢م.

٩٢) وفاء كامل فايد، المجامع العربية وقضايا اللغة من النشأة إلى أواخر القرن العشرين، عالم الكتب، ط ٢٠٠٤م، القاهرة.

٩٣) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٨م، لبنان.

٩٤) يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، نقله إلى العربية وحققه عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية، ط٢٠٠٦م، القاهرة.

المراجع الأجنبية:

1) André Martinet, Eléments de linguistique général, librairie Armand colin paris .1970

2) Arsène Darmester, la vie des mots, paris, Delagrave. 1932.

3) Crystal .D, A. Dictionary of Linguistics and phonetics, Oxford, Blackwell, 1985.

4) Dubois, Dictionnaire de Linguistique et des sciences du langage, Paris, Larousse, 1973.